

اسم المادة: الرفق والرحمة

من سلسلة: على هدي النبي - شرح كتاب صحيح الأدب المفرد

لفضيلة الشيخ: أحمد جلال

حياة

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: الرفق والرحمة
من سلسلة: على هدي النبي - شرح كتاب صحيح الأدب المفرد
لفضيلة الشيخ: أحمد جلال



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أهلاً وسهلاً ومرحباً بإخواني وأخواتي وأهلي وأحبابي، وأسأل الله -سبحانه وتعالى- بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا، الذي جمعني وإياكم في هذه الساعة المباركة على طاعته، أن يجمعني وإياكم في جنته ودار كرامته، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وبعد:

ده الدرس التالت، فيما يتعلق بكيف نكسب قلوب الناس؟ ومن الأمور المهمة جدًا أحبابي اللي نكسب بيها قلوب الناس؛ إن أنت تُراعي حالة الضعف الذي يُصيب الناس من وقت لآخر. مما لا شك فيه أن الإنسان مننا خُلق ضعيفًا، ده أمر متفق عليه بين الجميع، وربنا -عز وجل- علمنا فقال :"وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا" النساء:٢٨.

"اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً" الروم:٥٤، فالإنسان ضعيف، حتى -سبحان الله- في المرحلة الوسطى بين مرحلتي الضعف في الصغر والكِبَر، مرحلة الشباب برضه الإنسان بيكون فيها ضعيف، ممكن يضعف لمرض، ممكن يضعف بسبب فقره، ممكن يضعف لصورة أو لأخرى.

فالإسلام علمنا كيف نتعامل مع الإنسان الضعيف، العرب في جاهليتها ما كانت تُقَدِّر أبدًا ضعف الإنسان، بل كانت تُسيء الجوار، ويأكل القوي الضعيف وغير ذلك، أما الدين لما جه، بدأ إن هو يؤصل أكتر لمسألة التحاب بين الناس، والعلاقات الطيبة بين الناس، ومن أهم الأمور التي راعاها هذا الدين العظيم قضية ضعف الإنسان.

الإنسان مننا لما يقدر ضعف اللي قدامه، واللي قدامه ده يستشعر فعلًا إن هو بيقدر ضعفه، هتكون النتيجة تزداد القلوب محبة وأُلفة وتراحم بينها وبين بعضها.

عشان كده الشيخ بدأ يذكر لينا بعض الأبواب هي من أخطر وأهم وأعظم الأبواب، التي ينبغي أن نبينها للدنيا كلها عن عظمة هذا الدين.

صور الضعف متنوعة ومختلفة:

فمن الضعف: ضعف الرجل كبير السن، والإسلام راعى ضعف كبير السن بصور متعددة جدًا، منها مثلًا: الشيخ بيقول "باب فضل الكبير"، النبي -صلى الله عليه وسلم- في يوم من الأيام كان جالسًا في مجلس، طبعًا الصحابة متجمعين قدام النبي -صلى الله عليه وسلم-، والزحام كبير جدًا جدًا، فجاء رجل كبير السن في آخر المسجد، يريد أن يدخل، فما وجد مكانًا! فغضب النبي -صلى الله عليه وسلم-، لأن



الصحابة تباطأوا في الإفساح لهذا الرجل، فغضب النبي –صلى الله عليه وسلم–، وقال: "ليس منا من لم يرحم كبيرنا"، ففُسح لهذا الرجل، ووسع لهذا الرجل، لدرجة إن الرجل ده دخل وجلس أمام النبي، لدرجة أن رُكبتيه بتمس ركبتي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ليه؟ النبي –صلى الله عليه وسلم– الآن بينظر إلى رحمة هذا الرجل كبير السن، بالتالي أنا عايزكم تتخيلوا الآن منظر هذا الرجل، أو حال هذا الرجل، أو قلب هذا الرجل، والنبي يقول هذه الكلمة "ليس منا من لم يرحم كبيرنا"، فوجد أن الكل بيوسع له الآن، لحد ما هذا الرجل دخل، فجلس أمام النبي –صلى الله عليه وسلم–، والله يا أحبابي، يقبل قدمه ويده ورأسه –صلى الله عليه وسلم– ليه؟ يعني أد إيه النبي –صلى الله عليه وسلم– راعى ضعف هذا الرجل.

لما جاء رجل كبير إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– وقال: يا رسول الله إنني أذهب إلى الصلاة متأخرًا من أجل ما يطيل فلان" فيغضب النبي ويطلع في الناس خطيبًا ويقول: إن منكم منفرين، "إذا أمَّ أحدُكمْ الناسَ فلْيُخفِّفْ، فإنَّ فيهِمُ الصغيرَ، والكبيرَ، والضَّعيفَ، والمريضَ وذا الحاجةِ"[1]، فيهم واحد كبير في السن ارحموه.

النبي –صلى الله عليه وسلم– في فتح مكة، أبو بكر الصديق أتى بأبيه إلى رسول الله، وكان شيخًا كبيرًا –أبي قحافة– شيخًا كبيرًا شعر لحيته ورأسه أبيض، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– لأبي بكر: شوفوا رحمة النبي –صلى الله عليه وسلم– بالكبير، وشوفوا النبي –صلى الله عليه وسلم– لما يقول الكلمة دي لواحد كبير في السن، فيقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "هَلَّا تَرَكتَ الشَّيخَ في بَيتِه حتى أكونَ أنا آتيه"[2]، مش لو كنت قَعَّدْت الشيخ الكبير، الشيبة الكبيرة دي في بيته، حتى أكون أنا آتيه! يا رسول الله أنت داخل مكة فاتح، أنت داخل مكة وأنت ما شاء الله منتصر، ولكن يراعي النبي هذا الضعف، فكانت النتيجة إن القلب ده –سبحان الله– يزداد حبًّا لهذا الإنسان الذي راعى ضعفه.

فالشيخ بيقول "باب فضل الكبير"، ثم عقد بعد ذلك "باب إجلال الكبير"، وذكر فيه حديث النبي –صلى الله عليه وسلم–، والحديث صحَّ موقوفًا ومرفوعًا للنبي –صلى الله عليه وسلم–، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "إنَّ مِن إكرامِ اللَّهِ تعالَى إكرامَ ذي الشَّيبةِ المسلِمِ"، من علامات تعظيمك لربنا، إنك تعظم وتُكبر، وتكرم وتحسن إلى هذا الشيخ كبير السن، –سبحان الله– انظروا لو تعاملنا مع آبائنا الكبار بهذا المنطلق، يا ترى مش القلوب هتتآلف؟ المحبة والمودة اللي إحنا بنتكلم عنها وتآلف القلوب، مش معناه بين الشباب بعضهم وبعض، لا بل لكل الطبقات اللي موجودة في المجتمع، هنا النبي بيعلمنا الحب المتبادل بين الصغار والكبار، والأبواب اللي بعدها هتعكس الحب المتبادل بين الكبار والصغار، من فوق لتحت.

وجعل النبي –صلى الله عليه وسلم– إنه هناك آداب، لابد إن هيا تُوضع، ونكون حريصين جدًّا على تطبيقها في مجتمعنا. منها مثلًا: ماينفعش أبدا لما يكون عندي واحد صغير في السن، وواحد كبير في السن، إن أنا النهاردة لما أجي أتكلم، أتكلم أنا كصغير، وأسيب الراجل الكبير في السن الأول، لا غلط، بل قال النبي –صلى الله عليه وسلم– في الحديث: "كَبِّرْ كَبِّرْ" يعني إنما يبدأ الكلام كبير السن، مش الصغير هو اللي يتكلم! تخيل النهاردة كتير من شبابنا إزاي بيتجرأ على كبير السن في الكلام، تخيل النهاردة إنه الصغير أو الشاب ده بينظر إن كبير السن ده واحد خَرِف، مبيفهمش حاجة، ولا بيعرف حاجة! شوفوا النهاردة النبي بيتعامل إزاي؟ النبي بيعلمنا الأدب إزاي؟ لما نيجي نتكلم، إنما يتكلم الكبير قبل الصغير "كَبِّرْ، كَبِّرْ".

وذكر في رواية إذا لم يتكلم الكبير، هل للأصغر أن يتكلم، لو في يوم الكبير ماتكلمش، الصغير ممكن يتكلم؟ وذكر فيه حديث ابن عمر قال: "كُنَّا عِنْدَ رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فَقالَ: أخْبِرُونِي بشَجَرَةٍ تُشْبِهُ أوْ: كَالرَّجُلِ المُسْلِمِ لا يَتَحَاتُّ ورَقُهَا، ولَا، ولَا، ولَا، تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ، قالَ ابنُ عُمَرَ: فَوَقَعَ في نَفْسِي أنَّهَا النَّخْلَةُ، ورَأَيْتُ أبَا بَكْرٍ وعُمَرَ لا يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أنْ أتَكَلَّمَ، فَلَمَّا لَمْ يَقولوا شَيئًا، قالَ رَسولُ اللَّهِ

[1] الجامع الصغير
[2] صحيح ابن حبان



صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: هي النَّخْلَةُ، فَلَمَّا قُمْنَا قُلتُ لِعُمَرَ: يا أَبَتَاهُ، واللَّهِ لقَدْ كانَ وقَعَ في نَفْسِي أنَّهَا النَّخْلَةُ، فَقالَ: ما مَنَعَكَ أنْ تَكَلَّمَ؟ قالَ: لَمْ أرَكُمْ تَكَلَّمُونَ، فَكَرِهْتُ أنْ أتَكَلَّمَ أوْ أقُولَ شيئًا، قالَ عُمَرُ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا، أحَبُّ إلَيَّ مِن كَذَا وكَذَا"[٣].

شوفوا الأدب اللي وصل ليه عبد الله بن عمر، إنه قاعد في مجلس فيه أبو بكر وعمر، كبار الصحابة، كان هو لسه طفل صغير، النبي طرح سؤال، فيه شجرة مثلها كمثل المؤمن، ابن عمر عايز يقول هي النخلة فلقى أبو بكر وعمر سكتوا فسكت.. ليه؟ أدبًا، واحترامًا، رغم إن أبوه عمر بيقول: أنت لو كنت اتكلمت بالكلمة دي وقولت إن هي النخلة، فظهر من علمك وشرفك، لكان ده أفضل عندي، ولكن شوفوا أدب ابن عمر بيقول إيه؟ بيقول كرهت إني أتكلم وأبو بكر وعمر قاعدين ساكتين متكلموش.

كذلك أيضًا قال الشيخ: "باب تسويد الأكابر"، لِما عندهم من العلم، لِما عندهم الخبرة، لِما عندهم من الفهم، فعن حكيم بن قيس بن عاصم، أن أباه أوصى عند موته بنيه فقال: "اتَّقُوا اللهَ وسَوِّدُوا أكبرَكُمْ فإنَّ القومَ إذا سَوَّدُوا أَكْبَرَهُمْ خَلَفُوا أباهُمْ وإذا سَوَّدُوا أَصْغَرَهُمْ أَزْرَى بِهِمْ ذلكَ في أَكْفَائِهِمْ"[٤]، وكان النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: "البَرَكةُ مع أكابِرِكم"[٥].

أحبابي نلاحظ الآن جزئية مهمة جدًا:

أولاً: "ليسَ منَّا من لم يرحَم صغيرَنا"[٦]، وتارة النبي يقول لنا: إن من دلالة تعظيمكم لربنا إكرامكم لكبار السن، أوعى في يوم من الأيام حد يتكلم قبل كلام الكبير، أوعى في يوم من الأيام تسودوا الأصاغر، سودوا الأكبر، البركة في أكابركم.

النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول لأبي بكر: أقر الشيخ، أنا أروح له، وهو رسول الله! واللي داخل فاتح لمكة، عزيز، قوي، منتصر، قائد جيوش بيقوله أنا أروح للشيخ إيه ده! ده كله نتعلم منه إيه؟ نتعلم منه عظيم رحمة هذا الدين بكبار السن، اللي يصلي يراعي إن وراه ناس كبار في السن، فمايطولش في الصلاة، ربنا –سبحانه وتعالى– حتى في القرآن، لما اتكلم معنا على كبار السن، أمرنا بالإحسان لهم قال: "إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ" الإسراء:٢٣. لما يكبروا في السن تراعيهم، ربنا –سبحانه وتعالى– يُشرِّع لهم أحكام خاصة، "وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ" البقرة:١٨٤، نزلت في الكبير، الرجل الكبير، والمرأة العجوز، اللذان يعجزان عن صيام رمضان، لأ، دول يفطروا، وعليهم إطعام مسكين، كل ده ليه؟ دلالة علشان يقولك: لو عايزين القلوب تتراحم، لو عايزين القلوب تتآلف، لو عايزين فعلاً تكسبوا الناس، عاملوا الناس برحمة.

خدنا في الدرسين اللي فاتوا آداب كتيرة جدًا متعلقة إزاي القلوب تتآلف، هنا النبي بيقول: إن أصل من أعظم الأصول المتعلقة بتوثيق روابط المحبة بين الناس إنما يكون هذا الميثاق، وهذا الرباط، إنما يكون عن طريق إنك ترحم الخلق، وبخاصة الضعيف منهم.

من الضعفاء أيضاً مش كبير السن بس، من الناس اللي الشيخ اتكلم عنهم، لو عايزين فعلاً المحبة تنتشر بين الناس، أرحموا ضعف السن، بس مش مع الكبير، مع الصغير، والنبي –صلى الله عليه وسلم– كان له حال كده يعني، كان له حال عظيم كبير جدًا مع الأطفال الصغار، النبي –صلى الله عليه وسلم–، أنا كلما تذكرت، والشيخ ذكر هذا الحديث في قوله: لما رأى أبا عمير وهو بيلعب بالطير الصغير، فقال: "أبا عمير ما فعل النغير" حديث ٣٨٤، أصل الحديث أنه كان في طفل صغير اسمه أبو عُمير، معه نِغر صغير، عصفور صغير، وفي يوم رأى النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا الطفل يبكي بكاء شديد جدًّا، فقال أنس: فذهب النبي –صلى الله عليه وسلم– فجثا على ركبتيه وقال: "يا أبَا عُمَيْرٍ،

[٣] صحيح البخاري
[٤] صحيح الأدب المفرد
[٥] صحيح الجامع
[٦] صحيح الترمذي



ما فَعَلَ النُّغَيْرُ"[٧] فقالوا: يا رسول الله مات نغره، – دا العصفور مات والولد عمال يعيط – فما زال النبي يمازحه، ويضاحكه، ويلاعبه، حتى ضَحَّكَهُ النبي –صلى الله عليه وسلم– لحد ما الولد ضحك.

يقول أنس –رضي الله عنه– كما في صحيح مسلم: "كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أرحَمَ النَّاسِ بالعيالِ"، ما رأيت أحدًا أرحم بالعيال من رسول الله –صلى الله عليه وسلم–". ودي اللي خلت الأولاد الصغار النهاردة بعد كده لما بقوا شباب، كانوا يفدوا النبي –صلى الله عليه وسلم– بمُهج قلوبهم، أولاً لأنه رسول الله، ثانيًا لِما رأوا منه في حالة الصغر، لما كان أسامة النبي يحطه على رجليه كده، والحسن والحسين ويعتنقهم ويقبلهم، لما رأوا من هذا النبي العطف والرحمة، أكيد بعد كدا يعني تكون القلوب متآلفة، والصغار دول بكرة لما يبقوا شباب، هيشوفوا الكبار هيحترموهم، لإن كونوا على يقين، من رآني أحترمه صغيرًا، احترمني وأنا كبير، إنما اللي شافني أقسو عليه وهو صغير، قسى عليَّ وأنا كبير. قواعد موجودة في الكون، يُسلم بها العقلاء، يسلم بها أصحاب العقول النيرة.

النبي –صلى الله عليه وسلم– كان حريص جدًّا على رحمة صغير السن، يقول الشريد: "خرَجَ علينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في إحدى صلاتَيِ العَشِيِّ، وهو حاملٌ حسَنًا أو حُسَينًا، فتقدَّمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فوضَعَه، ثمَّ كبَّرَ للصلاةِ، فصلَّى، فسجَدَ بينَ ظَهْرانَيْ صلاتِه سَجْدةً أطالَها. قال أبي: فرفَعتُ رأْسي، وإذا الصبيُّ على ظَهرِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهو ساجدٌ، فرجَعتُ إلى سُجودي، فلمَّا قضَى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قال الناسُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّكَ سجَدتَ بينَ ظَهْرانَيْ صلاتِكَ سَجْدةً أطَلْتَها، حتى ظنَنَّا أنَّه قد حدَثَ أمرٌ، أو أنَّه يُوحَى إليكَ؟! قال: كلُّ ذلكَ لم يكُنْ؛ ولكنَّ ابني ارتَحَلَني، فكرِهتُ أنْ أُعجِّلَه حتى يَقْضيَ حاجتَه"[٨] لحد ما يلعب على ظهري، وياخد كفايته من اللعب، ينزل هو براحته، أرفع رأسي من السجود! هذا والرسول –صلى الله عليه وسلم– ساجد! طيب تخيل النهاردة لو فيه طفل من أطفال المسلمين دخل المسجد النهاردة وعمل كده؟ والله لهيضرب بالشلوت وهيطرد بره المسجد، ومعادش يخش تاني.

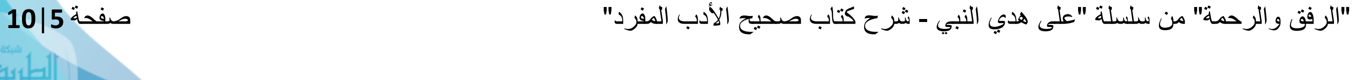
إمبارح كان فيه عندي درس، وجه طفلين صغيرين كده، وبيطنطوا وبيلعبوا، ولقيت شاب كده يعني عايز يسمع الدرس ده، فأخذته الحمية، فقام عايز يشيلهم من قفاهم الطفلين كده، قولتله له لا لا، على مهلك، ارحمهم، دول أطفال صغار، فالولد غير من حاله تمامًا، وبدأ يضحك ويبتسم معاهم كده، وخدهم وقعد بيهم بره يلاعبهم كده وانتهى الموضوع، الرحمة بالصغير، إنك ترحم الصغير.

قال الشيخ: "باب رحمة الصغير"، وذكر فيه حديث: "ليسَ منَّا من لم يرحَم صغيرَنا"، وذكر إن صور الرحمة دي كتير جدًا جدًا، النبي –صلى الله عليه وسلم– كان بيعمل صور كثيرة جدًّا من هذه الصور، منها مثلًا معانقة الصبي، مين فينا مثلًا يقوم عامل على الطفل الصغير كده، والولد يجي ويقوم الأب واخده كده في حضنه!

يقول يعلى بن مُرة: "أنَّه خرَج مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى طعامٍ دُعوا له فإذا حُسَيْنٌ مع الصِّبيانِ يلعَبُ فاستقبَل أمامَ القومِ تخيلوا النبي جري قدام الناس، فأسرع النبي أمام القوم، ثمَّ بسَط يدَه فجعَل الصَّبيُّ يفِرُّ ها هنا مرَّةً وها هنا مرَّةً –يعني متخيلين، يعمل كده فالحسين يجي كده، يقوم النبي عامله له كده، يجي كده يقوم النبي عامله له كده، ده مين ده! دا النبي، بيلاعب مين؟ بيلاعب الحسين، إزاي النبي يجري من قدام الناس! ويسبقهم كلهم! الحسين يجي كده يقوم النبي عامله له كده، الحسين يجي كده يقوم النبي عامله له كده، قال: "فجعَل الصَّبيُّ يفِرُّ ها هنا مرَّةً وها هنا مرَّةً وجعَل رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُضاحِكُه حتَّى أخَذه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فجعَل إحدى يدَيْهِ تحتَ ذقنِه والأخرى تحتَ قفاه ثمَّ قنَّع رأسَه فوضَع فاه على فِيهِ فقبَّله وقال: (حُسَيْنٌ منِّي وأنا مِن حُسَيْنٍ أحَبَّ اللهُ مَن أحَبَّ حُسَيْنًا حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِن الأسباطِ)"[٩] –صلى الله عليه وسلم–.

---

[٧] صحيح البخاري
[٨] صححه الألباني
[٩] تخريج صحيح ابن حبان



قال الشيخ: "باب قبلة الرجل الجارية الصغيرة"، وذكر في ذلك عن عبد الله بن جعفر، أنه رؤي عبد الله بن جعفر يقبل زينب بنت عمر بن أبي سلمة، وهي ابنة سنتين أو نحوه.

كذلك أيضا عندنا حديث أن النبي –صلى الله عليه وسلم– لما أخذ الحسن، وأخذ يقبله، فقال رجل: يا رسول الله –اللي هو الأقرع بن حابس– أتقبلون أولادكم؟ قال: بلى، قال: إن لي عشرة من الولد، ما قبلت منهم أحدًا، فقال –صلى الله عليه وسلم–: "أو أملكُ لك أن نزع اللهُ من قلبِك الرحمةَ؟"[10]، فجعل النبي –صلى الله عليه وسلم– من الرحمة بالطفل القبلة بالنسبة لهذا الطفل الصغير.

كذلك أيضًا مسح الرأس، ودي حاجة ممكن كتير من آبائنا مبيفكرش فيها أصلاً، إنه يمسح على رأس الولد كدا، إنه يمسح على صدر الولد كده، لحديث يوسف بن عبد الله بن سلام قال: "سمَّاني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم يوسفَ، وأقْعَدَني في حجرِه، ومسحَ على رأسِي"[11]، عبد الله بن سلام حَبر من أحبار اليهود، لما ربنا –سبحانه وتعالى– رزقه بالولد، النبي هو اللي سماه، وتخيل إن النبي –صلى الله عليه وسلم– يروح لعبد الله بن سلام، وهو اللي يسمي الولد يوسف، حتى يوسف بن عبد الله بن سلام كان فخور، بيقول أنا اللي سماني النبي –صلى الله عليه وسلم–، هو اللي قال أسمي يبقى يوسف، "أقعدني على حجره ومسح على رأسي"، سبحان الله.

كذلك أيضًا مش المسألة مسألة المعانقة، أو مسألة القبلة، أو مسألة مسح الرأس، لا والله، بل حتى من الرحمة بالطفل الصغير، إن إحنا ندي الطفل الصغير فرصة إنه يلعب، بعض الآباء بيبقي عنيف جدًّا، مفيش حاجة اسمها يلعب مع ابنه، يا جماعة النبي كان بيقول: "إن ابني هذا ارتحلني"!! قعد على النبي! عارف أعزكم الله يعني مش عارف أجيبها إزاي برضه عشان يبقي فيه أدب مع النبي –صلى الله عليه وسلم–، عارف لما يكون فيه أب بيلعب مع ابنه، فمقعَّد ابنه على ظهره كده وعمال بيمشي بيه، النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول "الحسين ارتحلني" أو الحسن ارتحل النبي –صلى الله عليه وسلم–، والنبي بيقول هذا، والصحابة كلهم شايفين وعارفين، –صلى الله عليه وسلم–، فمن الرحمة بالصبي إنه يلعب.

السيدة عائشة –رضي الله عنها– قالت: "كُنْتُ أَلْعَبُ بالبَنَاتِ –البنات اللي هيا العرائس– عِنْدَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وكانَ لي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ منه –يتكسفوا من النبي –صلى الله عليه وسلم– فيُسَرِّبُهُنَّ إلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي"[12]، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– يضحك معاهم، ويهزر معاهم، ويدخلهم كده.

برضه يا جماعة من الرحمة بالطفل الصغير، هو قول الرجل للصغير يا بني، مش يا بني هنا تكون اللفظ ده، ولكن يقول له الكلمة التي تُعبر عن حبه له. النبي –صلى الله عليه وسلم– مر ذات يوم على جاريات للأنصار وهن يغنين، فلما مر النبي –صلى الله عليه وسلم– عليهن قلن: "وفينا نبي يعلم ما في غد" فالنبي طبعًا علمهن أن الذي يعلم ما في غدٍ هو الله، ثم نظر النبي –صلى الله عليه وسلم– إليهن وقال: "علم ربي أن قلبي يُحِبكن"، علم الله أن قلبي يحبكن، الكلمة الطيبة اللي يقولها للولد.

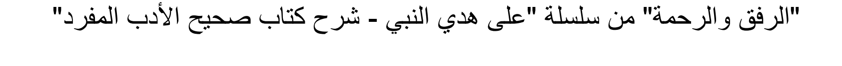
بعد ذلك الشيخ عايز يختم هذا الباب في رحمة العيال بحديث أنس اللي هو أنا قولتهولكوا منذ قليل "كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أرحَمَ النَّاسِ بالعيالِ".

---

[10] صحيح الجامع

[11] صححه الألباني

[12] صحيح البخاري





كان برضه على فكرة من رحمة النبي –صلى الله عليه وسلم–: كانت الجارية تأخذ بيدي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ليقضي لها حاجتها، فيمشي النبي –صلى الله عليه وسلم– معاها، ومعنى يقضي لها حاجتها، عايزة تشتري حاجة من عند فلان، فتاخد بإيدين النبي، فالنبي يروح معاها، عايزة مثلًا تجيب حاجة من عند فلان، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– يروح معاها، رحمة من النبي –صلى الله عليه وسلم– بها.

الشيخ طالما اتكلم عن رحمة الكبير ورحمة الصغير، الشيخ اتكلم قال: يا جماعة عن الرحمة في ديننا مش متعلقة بالكبير أو الصغير بس، لا، ده رحمة كل من في الأرض، فمقالش بقي رحمة الدواب ورحمة الحيوانات والكلام ده، ولكن بوَّب باب، يعني أرى إن فعلاً هذا الرجل كان رجلاً في قمة العقل، رجل فاهم، واعي، فقال –رحمة الله عليه–: "باب ارحم من في الأرض"، و"ارحم من في الأرض" دي عشان تكون عامة لكل شيء موجود على ظهر الأرض، فعن عمر قال: "من لا يَرحمْ لا يُرحَمْ ومن لا يَغفرْ لا يُغفرْ ولا يُعْفَ عمن لا يَعْفُ ولا يُتابُ عمن لا يتوبُ ولا يُوَقَّ من لم يَتَوَقَّ"[١٣].

وذكر حديث معاوية بن قُرة، عن أبيه قال: "يا رسولَ اللهِ إنّي لأَذبحُ الشاةَ فأرحمُها –أنا وأنا بذبح الشاة كده، بتصعب عليَّ فأرحمها– قال صلى الله عليه وسلم: إن رحمتَها رَحمَكَ اللهُ"[١٤].

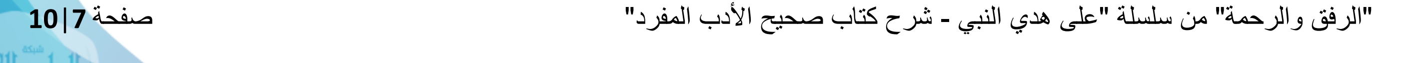
فين الرحمة الآن في التعامل مع الخلق؟ وقال –صلى الله عليه وسلم–: "لا تُنزعُ الرَّحمةُ إلا مِن شَقِيٍّ"[١٥]، وقال: "مَن لا يَرْحَمِ النَّاسَ، لا يَرْحَمْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ"[١٦].

ثم ذكر الشيخ بعد هذا التعميم، رحمة كل من في الأرض، قال: "باب الرحمة بالبهائم"، إذا كان عندنا في ديننا الرحمة إنما تكون بالبهائم، فما بالكم بغيرها من الرحمات! فذكر فيه حديث أبو هريرة، حديث: "بيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عليه العَطَشُ، فَوَجَدَ بئْرًا فَنَزَلَ فيها، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فإذا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فقالَ الرَّجُلُ: لقَدْ بَلَغَ هذا الكَلْبَ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الذي كانَ بَلَغَ بي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أمْسَكَهُ بفِيهِ، فَسَقَى الكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ له فَغَفَرَ له قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، وإنَّ لنا في البَهائِمِ أجْرًا؟ فقالَ: نَعَمْ، في كُلِّ ذاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجْرٌ"[١٧]. وقال –صلى الله عليه وسلم–: "عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ في هِرَّةٍ حَبَسَتْها حتَّى ماتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فيها النَّارَ"[١٨]، امرأة دخلت النار في هرة. هذه الأحاديث علشان تقولنا: خدوا بالكم إن الإنسان الذي سيُنزع من قلبه الرحمة في تعامله مع الناس، مش هيفقد علاقته مع الناس بس، ده هيفقد الجنة أصلاً، هيفقد رحمة الله –عز وجل– يوم القيامة.

ثم قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "ارحموا تُرْحَمُوا –ارحموا الناس، ارحموا الخلق، ارحموا الدواب– تُرْحَمُوا، واغفِروا يُغْفَرْ لكُم"[١٩].

وقال –صلى الله عليه وسلم–: "من رحم ولو ذبيحة" تخيلوا يا جماعة بعض الشباب النهاردة لما بييجي يطلع يصطاد مثلا يصطاد عصافير مثلاً أو كده، بيضرب العصفورة، فالعصفورة تقع، فيقوم جاي عامل إيه، فاصل رأسها كده! فقال –صلى الله عليه وسلم–: "مَنْ رَحِمَ ذَبِيحَةً

[١٣] صحيح الأدب المفرد
[١٤] ذخيرة الحفاظ
[١٥] سنن الترمذي
[١٦] صحيح مسلم
[١٧] صحيح البخاري
[١٨] صحيح البخاري
[١٩] صحيح الترغيب



رَحِمَهُ اللهُ يومَ القيامةِ"[٢٠] دي رحمة؟! دي رحمة؟! يعني اللي بيعمل كده في عصفورة، بيفصل رأسها كده، ده بيدخل في قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "لا تُنزع الرحمة إلا من شقي" ولَّا تدخل في قول النبي –صلى الله عليه وسلم– "مَنْ رَحِمَ ذَبِيحَةً رَحِمَهُ اللهُ يومَ القيامةِ".

يا ريت يا جماعة النصوص دي تكون قدام عينينا كده، عشان ناخد بالنا منها.

أنا شوفت فيديو من كام يوم، فيديو بصراحة أصابني باكتئاب وهم وغم لا يعلمه إلا الله، الفيديو عبارة عن مجموعة من الصينيين بيدبحوا ثور، أنتم عارفين الساقية، هم حاطينه في ساقية، الساقية بتدور كده، ففيه واحد واقف هنا وواحد واقف هنا، شوفوا الفيديو، شوفوا بشاعة الذبح، وماسكين سيف، كل واحد منهم ماسك سيف، يعدي الثور يقوم ضاربه، بالسيف فطبعًا بيقطع حتة، يعدي الثور الجهة التانية يقوم جاي إيه ضاربه كده، فيجري، الثور يجري، هو بيجري طبعا من الراجل ده، فييجي عند التاني فيقوم ضاربه، فيجري، فيقوم دا ضاربه، فضلوا يضربوه، قبالة مثلًا ثلاثين أربعين ضربة سيف على رقبته، لحد ما في الآخر يا عيني وقع في الأرض ومماتش، لحد ما ذبحوه ونحروه.

شوفت فيديو برضه من قيمة كام يوم، مجموعة من أشقياء الشباب، على سطح بيت، مصورين واحد منهم بيضحك وهما على سطح بيت، ماسكين كلب من إيديه ورجليه، ومرة واحدة من الدور السابع أو الثامن قاموا راميين الكلب، والكلب يا عيني وقع في الأرض، هو مماتش على فكرة، هو قعد طبعًا يعوي يعوي من شدة الألم، والله أعلم كان حاله إيه بعد كده.

كل ده موجود على الإنترنت، شوفت فيديو برضه لاتنين، واحد معاه كلب قوي جدًا وشرس، وواحد تاني معاه كلب ضعيف، وخلى الكلب الشرس يأكل الكلب الضعيف، وتخيل بقى حالة الكلب الضعيف، عمال يا عيني يقاوم، إلى أن مات، بعد كده سابوه ومشيوا! فأنا مش عارف أين الرحمة؟!

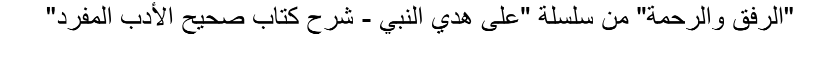
في أسبانيا، وعشان برضه النصوص دي برضه تبقى على واقعنا؛ في أسبانيا أنتم عارفين طبعًا اللي هي مسألة مصارعة التيران، اللي هو يخش الثور من هنا، ويبقى كل دور اللي معاه تحت اللي بيبقى ماسك له الستارة الحمراء دي إنه يضربه بالسيف في حتة معينة، فيضربه ٥، ٦، ٧، ٨، ٩ سيوف، وتشوفه طبعاً الدماء عماله تنزل من هذا الثور، لحد ما يجي السيف في مكان قلبه، فيقع فيموت، فهنا يقول خلاص هو كده انتصر على هذا الثور، فشوفوا قدر ما يعاني الثور من سيوف تفضل تتضرب فيه، لحد ما يصل السيف إلى قتله، ده بقى إيه؟ ده عندنا في ديننا وشريعتنا اللي هما بينادوا بحقوق الإنسان، ده عندنا في ديننا وشريعتنا هو قول النبي –صلى الله عليه وسلم– "لا تُنزع الرحمة إلا من شقي".

قال الشيخ: "باب أخذ البيضة من الحُمَّرَة"، والحُمَّرة ده طائر أحمر، زي الحمامة كده، معروف إنه بيبقى في الصحراء، والطائر ده بيعمل العش بتاعه في الأرض، مبيعملوش على الأشجار كما هي عادة الطير، فطبيعي جدًّا إن أي حد معدِّي ممكن يجوع أو حاجة، يأخد البيض يقليه أو يسلقه فياكله، فعن عبد الله بن مسعود، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– نزل منزلاً، فأخذ رجل بيضة حُمَّرة، فجاءت ترفرف على رأس رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، جاءت قعدت ترفرف كدا، –وفي رواية فجاءت تفرَّش على الأرض– عارفين نامت في الأرض كدا وقعدت تضرب بأجنحتها، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أيكم فجع هذه في بيضتها؟ –مين فيكم اللي فجع هذه في بيضتها–، فقال رجل: أنا يا رسول الله، أنا أخذت بيضتها، فقال: أردده رحمة لها".

أنا مش عارف! إيه رأيكم في الكلام ده؟ "أردده رحمة لها"، صلى الله على من علم الدنيا كلها الرحمة –صلى الله عليه وسلم–.

---

[٢٠] صحيح الأدب المفرد





بعد ما الشيخ أتكلم على جزئية الرحمة، إحنا قولنا كان من الأمور اللي تخليك إن شاء الله محبوب وسط الناس إنك تعفو كتير، من الأمور اللي تخليك محبوب وسط الناس إنك ترحم كتير. قالك كذلك أيضًا من الأمور اللي تخليك بفضل الله محبوب جدًّا بين الناس هو صبرك، يبقي فيه عفو، فيه رحمة، فيه صبر، إنك تصبر دايماً على أذى الناس، وعلى قدر ما أنت بتصبر على هذا الأذى، إن شاء الله ربنا –عز وجل– يجعل لك في قلوب الناس مودة ورحمة، اصبر، ففي كتير من الأوقات لما بتصبر على أذى الناس، وتقابل هذا الأذى بالحكمة، وبالرحمة، وبالعفو، تكون النتيجة إن الناس تحبك.

قال الشيخ: "باب الذي يصبر على أذى الناس"، فقال: عن ابن عمر، عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "المؤمِنُ الَّذي يخالطُ النَّاسَ ويصبِرُ على أذاهُم، خيرٌ مِن الَّذي لا يخالِطُ النَّاسَ ولا يصبِرُ على أذاهُمْ"[٢١].

خالط الناس، واصبر على أذاهم، وادفع هذا الأذى بالخير، ادفع هذا الأذى بالحسنة، ادفع هذا الأذى بالحسنى، تكون النتيجة إن ربنا –عز وجل– يجعل لك في قلوب الناس محبةً.

كذلك أيضًا من الأمور اللي تخليك محبوب بين الناس، إنك تسعى دايماً للإصلاح بين الناس، وكل ما يكون الإنسان مننا حريص إنه يصلح بين ده وبين ده، بيكون لها أجر عظيم جدًا.

أتذكر في يوم أحد الدعاة كان بيقول: إنه كان في يوم جمعة، كان عنده خطبة، ودرس العصر، ودرس المغرب، ودرس بعد العشاء، وعنده موعد الساعة ٨ برضه مع مجموعة من الإخوة برضه بيديلهم دروس وحاجات من كده، فبيقول لي: كان يوم قاتل بالنسبة لي، فاتصل عليَّ أحد الشباب وبيقول لي: أنا عندي مشكلة كبيرة جدًّا بيني وبين والدتي، وعايزه تسيب البيت، أرجوك الحقنا، هو بيقولي إن الشيخ ده بيقول: إن هو كان في صراع نفسي، أنا من الصبح بره في الشارع، وتعبان جدًّا ومش قادر، يعني وأنا الحمد لله أخدت من الأجور كتير جدًّا، فحاولت أعتذر له، فقولت سبحان الله! لعل ده يكون من إصلاح ذات البين، فبيقول دقايق وأكون عندك، فسبحان الله، بيقولي: أنا روحت، فقولت له: أنا والله كان عندي درس كذا وكذا وكذا، ومع ذلك أنا جيت عشان أصلح، والحمد لله ربنا –عز وجل– أجرى الصلح على يديه، وتم الصلح بالفعل، فبيقول لي: والله العظيم يا شيخ أحمد، أنت مش متخيل هذا الرجل أنا أحبه قد إيه، إنه كان مفترض ومعاه عذره يروح، وينام ويرتاح لأنه عنده تاني يوم شغل، ولكن والله أنا حبيت الراجل ده حب غير طبيعي، ليه؟ لأنه رغم التعب والعناء سعى للإصلاح بين الناس، فما شاء الله ازداد حبه في قلبي، حتى والدتي لقيتها بتقولي: أنا الإنسان ده علا في قدري جدًا جدًا، وأنا والدتي أصلاً من النوع اللي هي أصلًا مبتحبش الشيوخ! مبتحبهمش أصلا، ولكن لما جه وصالح والكلام ده، وبعد كده قولتلها دا كان عنده كذا وكذا، ومع ذلك مروحش وجه علينا، يعني بتقولي علا في نظرها جدًا.

فمن الأمور اللي تخليك دايماً عالي في نظر الناس، إنك تكون دايماً تقوم بدور المصلح بين الناس.

لذا قال الشيخ: "باب إصلاح ذات البين"، وذكر فيه حديث عن أبي الدرداء قال، قال رسول الله صلى الله عليه: "ألا أخبرُكم بأفضلِ من درجةِ الصيامِ والصلاةِ والصدقةِ؟ قالوا: بلى، قال: إصلاحُ ذاتِ البينِ –صلاح ذات البين إنك تُصلح بين الناس– وفسادُ ذاتِ البينِ الحالِقةُ، لا أقولُ: إنها تَحْلِقُ الشَّعْرَ ولكن تَحْلِقُ الدِّينَ"[٢٢]، اتنين بينهم وبين بعض خصومة، خلاص كل واحد منهم استحل عِرض التاني، ده يقول دا عمل فيّ، وده يقول عمل فيّ، وده يقول ده ابن كذا، وده يقول ده ابن كذا، استحلوا أعراض بعض، فتحلق الدين عند الناس.

وذكر أثر عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنه قال: "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ" الأنفال:١ قال: هذا تحريج من الله على المؤمنين أن يتقوا الله وأن يصلحوا ذات بينهم.

---

[٢١] صحيح الأدب المفرد

[٢٢] صححه الألباني



كذلك أيضاً من الأمور اللي تخليك إن شاء الله بإذن الله محبوب بين الناس، إنك إذا وعدت لا تُخلف، لأن دي علامة من علامات النفاق "وإذا وعَدَ أخْلَفَ"[٢٣]، إنما المؤمن صادق الوعد، كما قال الله –سبحانه وتعالى–: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا" مريم: ٥٤.

من الحاجات اللي دايماً بتأثر على الناس بالسلب، فبتخلي دايمًا بينهم وبين بعض مشاكل، يعني مثلاً أنا أديت لواحد موعد الساعة ٨، أنا قعدت ٨ وعطلت نفسي ٨ ونصف، ٩، ٩ونص، ١٠، ١١، لقيته جاي لي الساعة ١٢ وبيعتذر، أتصل عليه، أنت فين، يقولي: أنا نزلت من البيت، وهو لسه في البيت! أنت فين؟ أنا في العربية، وهو لسه بيلبس هدومه! أنت فين؟ أنا خلاص داخل عليك أهو، وهو لسه يادوبك نازل من البيت، وييجي لي الساعة ١٢، طب أنا عطلت نفسي، فهنا تلاقي النفوس بتشيل من بعض، ليه؟ بسبب إن إحنا أخلفنا في الوعود.
فذكر الإمام البخاري بابًا فقال: "باب لا تَعِد أخاك شيئاً فتخلفه"، وذكر فيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "لا تُمارِ أخاك ولا تمازِحْه –لا تماري متكترش من الجدل– ولا تَعِدْه موعدًا فتُخلِفَه"، ولكن للأمانة الحديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ولكن طبعاً معناه صحيح، وورد في كثير من الأحاديث الثابتة الصحيحة عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

وبكده نكون أنهينا بعض الأمور التي تدفع الإنسان إلى المحبة، وتدعيم أواصر الحب بين الناس، وإن شاء الله بإذن الله يكون الدرس القادم هو الدرس المتمم لهذه الدروس، سلسلة إزاي الناس تحبنا، وهو هيكون عن إيه الأشياء اللي أنت لو عملتها ممكن تخسر كثير من الناس.
أكتفي بهذا القدر، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[٢٣] صحيح البخاري

